يكفيني أن أنظر إلى طارق وسارة...

العزيز سماح،

قرأتُ اليومَ مقالتكَ عن د. جورج حبش في جريدة **الأخبار**،[1] فتأثّرتُ كثيرًا، وشعرتُ بالندم لأنّي لم أكاتبْكَ من قبلُ، مع أنّني فكّرتُ في ذلك كثيرًا عند وفاة الدكتور سهيل إدريس. فأنتَ بمقالتك سبقتَني حين ذكرتَ الدكتوريْن في معرضٍ واحد؛ وهذا ما كنتُ أنوي القيامَ به عند تعزيتكَ وعائلتكَ برحيل د. سهيل.

عندما قرأتُ النبأَ الحزينَ لوفاة الدكتور سهيل أخذتُ أسترجع ما بقي من ذاكرتي من تفاصيل لقاءاتي به. التقيتُه للمرة الأولى في الشارقة خلال معرض الكتاب العربيّ، واصطحبناه أنا وأختُك رنا إلى مطعم على شاطئ البحر. كانت تلك هي المرةَ الأولى التي ألتقيه شخصيّاً، ولقد ضحكتُ يومَها كما لم أضحكْ في حياتي! فقد كان الدكتور في مزاجٍ رائع، وكان ينتقل بنا من قصّةٍ إلى أخرى، ومن زمنٍ إلى زمن، ومن حديثٍ إلى نكتة. وكان يَسْرد كلَّ ذلك بسلاسةٍ وعفويّةٍ وتوقّدٍ أبقتنا مستمتعين حتى ساعات الفجر.

في اليوم الثاني حلّتْ محاضرتُه في النادي الثقافيّ العربيّ. وهناك استعرض، بالسلاسة نفسها، وإنْ بجديّة أكثر (قليلاً)، حياتَه ككاتب، وتحدّث عن الصعوبات التي واجهها في النشر لأنه لم يستطع يومًا التعاملَ مع هذه المهنة إلاّ كأديب ومثقّف. عند انتهائه من كلمته، وكانت صالةُ المسرح مكتظّةً بالحضور، فُتح بابُ الأسئلة، ولكنّ الدكتور سهيل لم يتلقَّ سؤالاً واحدًا من قرابة العشرين شخصًا الذين تقدّموا للكلام: ذلك أنّ كلّ ما تلقّاه لم يكن إلاّ مديحًا وشكرًا وعرفانًا صادقًا من أناس، من كلّ الأعمار، فَتَحَتْ لهم الآداب أبوابَ صفحاتها، ومنحتْهم ككتّابٍ دعمًا ورعايةً وجوازَ عبورٍ إلى كلّ العالم العربيّ، أو منحتْهم كقرّاءٍ (ومازالت تمنح كثيرين منهم) متنفَّسًا وواحةً للرقيّ الفكريّ الحرّ وجوازَ عبورٍ إلى آداب العالم وثقافاته. وكان الدكتور سهيل يتلقّى ذلك المديح بضحكةٍ تمزج الخجلَ بالزهو والرضى، بينما كانت عيناه تَلْمعان ببريقٍ يطالب بالمزيد من هذا الكلام الجميل!

للأيّام الثلاثة المتتالية كنا نذهب معًا للمشاركة في الليالي الثقافيّة التي تُرافق معارضَ الكِتاب عادةً. كان الدكتور سهيل يتوسّط المنبرَ في حلقات نقاشٍ شاركه فيها كثيرٌ من المثقفين من العالم العربيّ. وكان النقاش يحتدّ ويعلو الصراخُ بين القوميين والإسلاميين والشيوعيين، والكلّ يريد أن يشدّ الدكتور سهيل إلى جهته. فكان يلطِّف الأجواءَ بتعليقٍ حاذق، ويقرِّب الآراءَ ما بين المتخاصمين، من دون أن يساومَ أو يهادنَ أو يتزلّفَ لموقفٍ يتناقض ولو شعرةً مع وطنيّته أو تقدميّته أو عروبته.

كانت هذه الزيارة، بالنسبة إليّ، بمثابة عمليّة إنعاش تُعطَى إنسانًا على وشك الاختناق. ذلك أنها جاءت بعيْد مغادرتي لبنانَ (الذي ما عدتُ إليه لا فكرًا ولا جسدًا)، فأزالت ذلك الإحباطَ الذي رافق الاقتلاعَ من بيروت. فخلال ذلك الأسبوع الثقافيّ وعيتُ المعنى الحقيقيَّ لعبارة «الوطن العربيّ.» لقد جَمَعَنا الدكتور سهيل بمثقفين من العالم العربيّ كلّه، فرأيتُ بأمِّ العين وحدةَ الحالِ والهمِّ واللسانِ والقلب، وزالت الغربةُ التي كنتُ أشعر بها قبل هذه الزيارة.

❖ ❖ ❖

في السنة نفسها، وفي المكان نفسه، وربما بمسافة زمنيّة تساوي المسافةَ التي فَصَلَتْ رحيلَهما، جاءنا «الحكيم.» كانت تلك هي المرةَ الأولى التي ألتقيه شخصيّاً، وجهًا لوجه. خَطَبَ الحكيم جورج أمام الجمهور الذي اكتظّت القاعةُ به، وتكلّم على المرارات التي مرّ بها، وعلى الخذلانِ العربيّ الذي رافقه: من يوم ضياعِ فلسطين، مرورًا بأيلول عمّان، فحصارِ بيروت، فالخروج من... لبنان.

رافقنا الحكيم إلى العشاء وأنا أكادُ لا أصدّق أنني عشتُ لا لأراه وأمسكَ بيده فحسب، بل لأتناوَل العشاءَ معه أيضًا ولأستمعَ شخصيّاً إلى حديثه ورؤيته. بعد هذه الزيارة بقيتُ مدةً أحْلم بأن يستدعيَني لأقومَ بعمليّةٍ ما من أجل فلسطينه، التي تصالحتُ منذ ذلك اليوم معها ورضيتُ بأن تكونَ فلسطيني أيضًا ـ بلدًا وهدفًا وقضيّةً ـ بعد أن عشتُ عمري ألعن الساعةَ التي التقتْ فيها أمي بـ «الفْلسطيني» كي تلدَني لأكونَ ـ ويا لَحظّي العاثر ـ فلسطينيّةً لاجئةً في لبنان!

---

١ ـ نصُّها موجودٌ في هذا العدد أيضًا ص ١٠٥. (الآداب)

رحل الحكيم، وبرحيله خسر العالمُ القائدَ والمناضلَ والمثقفَ النزيهَ والثائرَ الذي لن يموتَ. ورحل أيضًا الدكتور سهيل، فخسر العالمُ المفكّرَ والمثقّفَ الوطنيَّ الحرَّ (والمهضومَ). وقد تحيّر كلٌّ واحد منا كيف يتعامل مع هذا الواقع الحزين، وكيف يعبِّر عن هذه الخسارة. وجاءت ذكرى تلك اللقاءات التي جمعتني بهذيْن الرجليْن في الزمان نفسه والمكان ذاته والظروف عينها، فأعانتني على نسج هذه المصادفة لأحدّدَ وجهةَ رثائي لهما. فأنا خسرتُ برحيلهما الدكتوريْن العربييْن العظيميْن، اللذيْن كان لهما الفضلُ الأكبرُ في تكوين هويّتي وانتمائي وثقافتي، واستطاعا منذ اللقاء الأول أن يرسما لي الخطَّ الذي وَجّه بوصلتي وحدّدتْ بموجبه مسيرةَ حياتي: كإنسان عربيّ وفلسطينيّ، وكامرأة، وكأمّ. وأعرف يقينًا أنّ خطّ هذيْن الرجليْن، الواضحَ والصحيحَ، ما زال مستمرّاً، ولن ينقطع أبدًا. يكفيني أن أنظرَ إلى طارق وسارة، وأن أستمعَ إلى حديثيْهما، لأعرفَ أنهما ـ سهيل إدريس وجورج حبش ـ ما زالا معنا إلى اليوم، وأنهما لم يرحلا قطّ.

سناء قاسم
(أثينا)

❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖

المقاطعة

السيد سماح إدريس المحترم،

أشكرك على هذا الموقع المميّز لمقاطعة الشركات الداعمة لإسرائيل التي تستضيفه مجلةُ الآداب مؤقّتًا (www.adabmag.com). وعلى الرغم من وجود عدد من المواقع الأخرى المنشأة للغرض نفسه، إلاّ أنّ الموقع التابع لمجلتكم المحترمة يأخذ بعدًا إنسانيّاً قابلاً لجذب المهتمّين من كافة المذاهب والجنسيّات، ولكنْ، برأيي، يمكن تفعيلُ الموقع بشكلٍ أفضل:

١ ـ تأمين دعاية للموقع في الصفحات الإلكترونيّة العربيّة العالميّة التقدميّة عبر رابطٍ بسيطٍ من هذه الصفحات إلى الموقع المذكور.

٢ ـ تجميع صُوَر للماركات كلّها معًا. وهذا يسهّل طباعتَها على صفحةٍ ورقيّةٍ واحدة A4، واستخدامها في أعمال الدعاية لمن يَرْغب.

٣ ـ توفير صور دعائيّة مؤثّرة لكلّ ماركة؛ فالصور أسرع وأقوى وأبقى وأقدر على التأثير من الكلام.

٤ ـ إيجاد نسخة إنكليزيّة للموقع.

٥ ـ التواصل مع المهتمّين بالموضوع عبر إرسال نشرات إلكترونيّة إلى صناديق بريدهم الإلكترونيّة الخاصة، الأمر الذي يسهّل القيامَ بأيّ حملاتٍ وأعمالٍ منظمة مستقبلاً.

٦ ـ دراسة ترتيب هيكليّ آخر للموقع يأخذ في الاعتبار المستويات المختلفة لمرتادي الموقع، والزمن الذي يستطيعون قضاءه في الموقع، وأكبر قدر من المعلومات يمكن أن يحصلوا عليه من الصفحة الأولى.

٧ ـ أنا وبقيّة المهتمين بفكرة المقاطعة جاهزون لأيّ نوعٍ من المساعدة يتضمّن الترجمةَ إلى اللغات الإنكليزيّة أو الفرنسيّة أو تدقيق اللغة العربيّة أو الملصقات الفنّية.

ناديا حلمي
(سوريا)

❖ ـ ردّ الآداب: شكرًا سيّدة ناديا. حملة مقاطعة داعمي «إسرائيل»/لبنان، وحملةُ المقاومة المدنيّة في لبنان، في صدد تحديث المعلومات عن هذه الشركات، وبناء موقعٍ إلكترونيّ خاصّ بالمقاطعة باللغات العربيّة والإنكليزيّة والفرنسيّة.